الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

كلية الآداب واللغات

قسم: اللغة والأدب العربي

- **المقياس:**

" **مدخل إلى الأدب المغاربي المكتوب باللغة الفرنسية** ".

- **نوع الحصة:** تطبيــق .
- **إعداد الأستاذ:** بوعمامة وحيد .

- **الدرس الرابع بعنوان:**

رواية الحريــق لمحمد ديب:

(L'incendie)

- **المستــوى:** السنة الثانية آداب (ليسانس).
- **الأفـــواج:** الفوج السادس (06) والفوج السابع (07) .
- **العام الدراسي:** 2021 / 2022 .

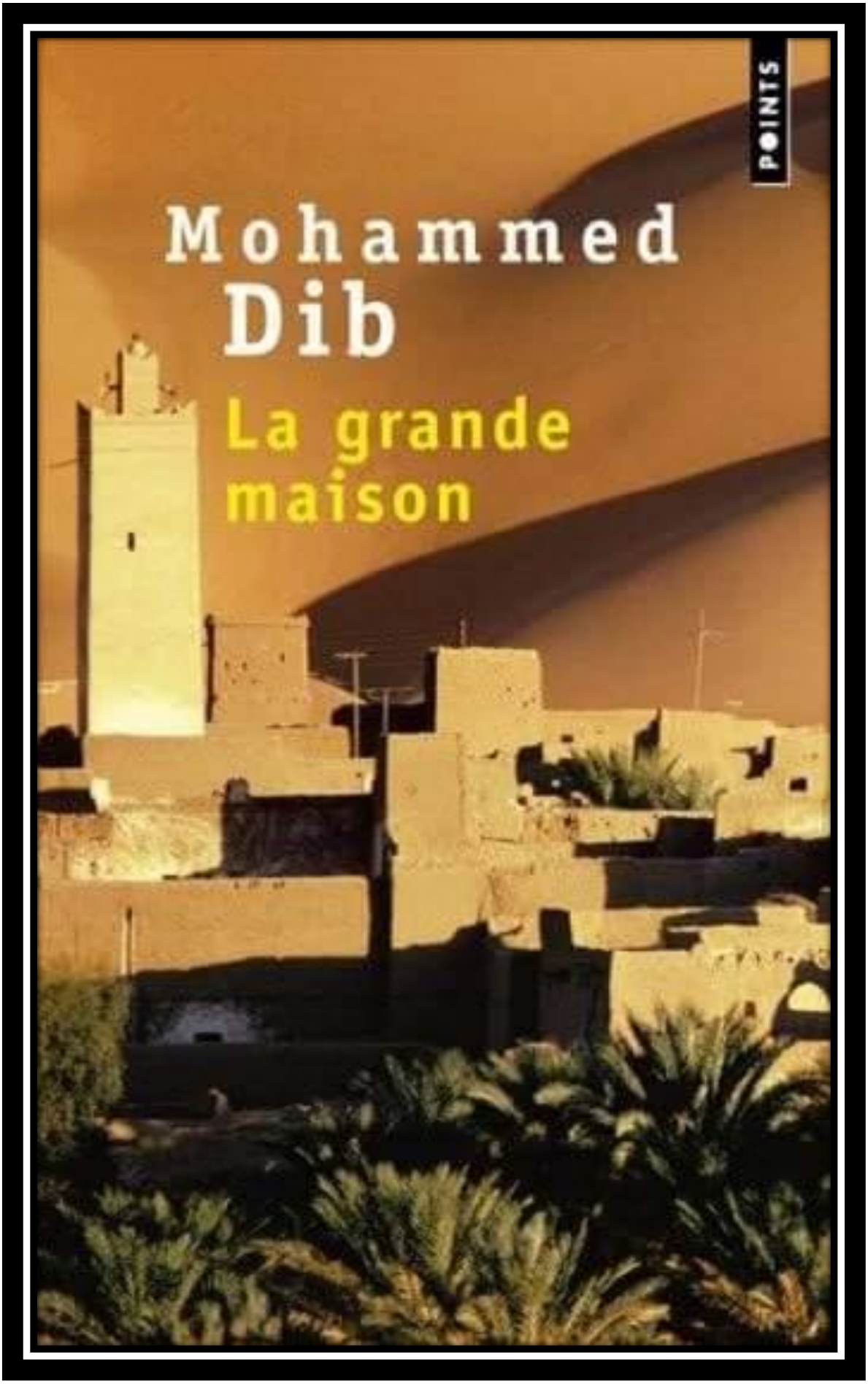
POINTS
Mohammed
Dib
La grande
maison

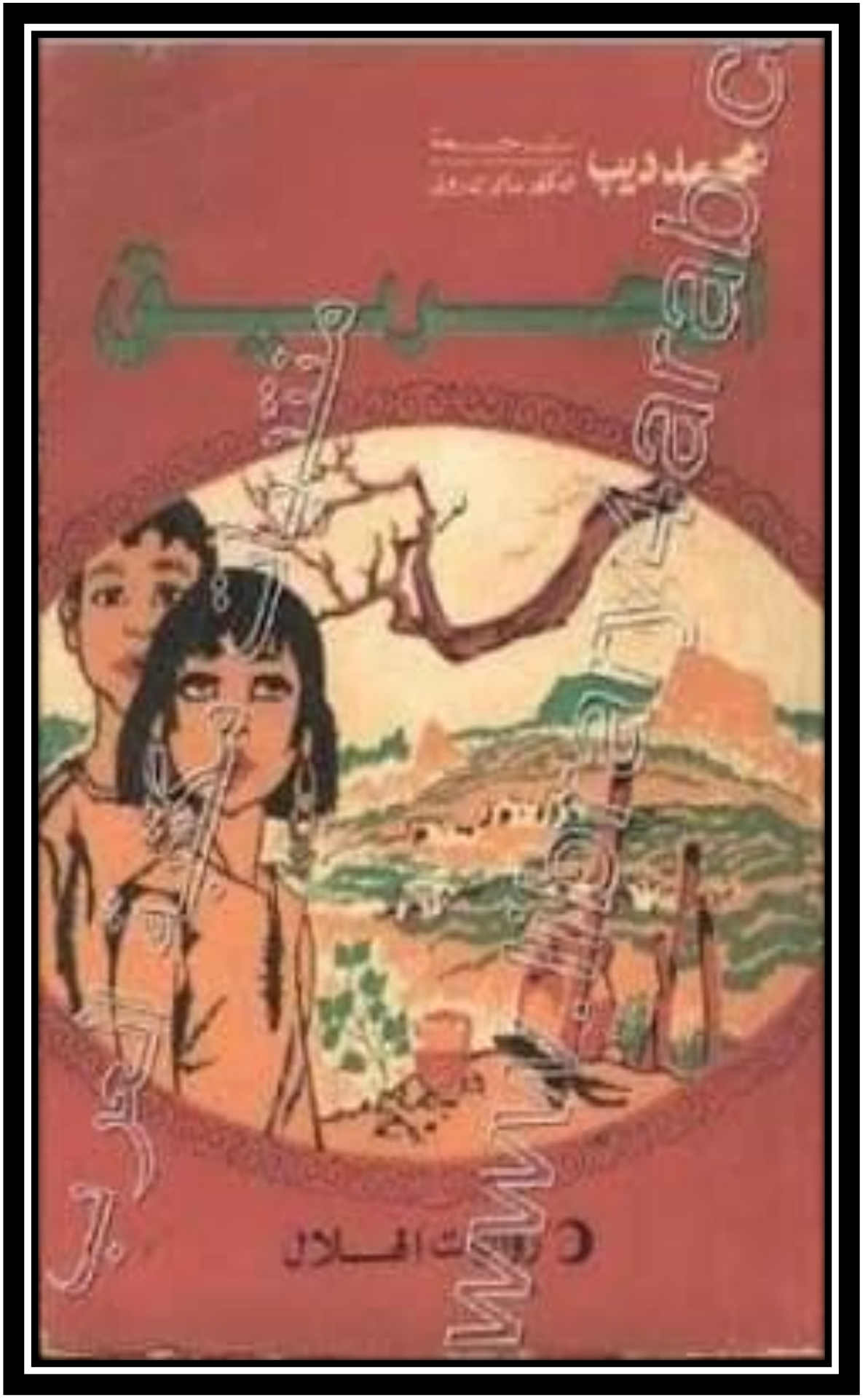
محمد ديب
دار الهلال

رواية الحريق لـ: محمد ديب

❖ تمهيد:

تعتبر رواية " **الحريق** " لـ : " **محمد ديب** " الجزء الثاني من ثلاثيته، بحيث يبلغ عدد صفحاتها 190 صفحة، وأحداث الرواية تجري في شتاء 1940 – 1939 في قرية قرب مدينة " **تلمسان** " تدعى " **بني بوبلان** " وسط الفلاحين. " **فإذا كانت الدار الكبيرة صورة للحياة الاجتماعية في المدينة، فإن** " **الحريق** " **تعطي لوحة عريضة لحياة الفلاحين، ولعلاقة هؤلاء بالمعمرين الذين سلبوا أرضهم وحولوهم إلى عبيد، يستغلونهم في فلاحة أرضهم المغتصبة** " [1]

يبين لنا " **محمد ديب** " يقظة الوعي الوطني في المجتمع الريفي حيث يقول:" **هذه هي الحقيقة التاريخية، لقد رأيتها كما عشتها** " [2] فهو يجسد حقيقة عاشها بكل تفاصيلها، ولهذا تعد رواية " **الحريق** " من أهم الروايات التي قدمها الروائي " **محمد ديب** "، لا سيما في مرحلة سعت فيها كلّ الأقلام إلى ايقاظ الرأي العام الوطني والدولي من أجل الالتفاف حول القضية الجزائرية المتمثلة في الثورة التحريرية، إذ كتبت هذه الرواية عشية اندلاع ثورة الفاتح من نوفمبر 1945م، وكانت بمثابة إعلان عن الأوضاع المزرية من ألم ومآسي التي أصبح الشعب الجزائري يعشها جرّاء هذا الاحتلال الفرنسي الغاشم للجزائر وتسلطه على كل ما هو جزائري، ومنعه للجزائريين من أي دفاع عن أنفسهم أو عن وطنهم أو أرضهم.

تصوّر الرواية عددا من المشاهد الواقعية وتقدم الكثير من الإشارات إلى القارئ حول كل ما كان يعيشه الشعب الجزائري آنذاك، وكذلك وحول المعاملة السيئة والبشعة التي كان يخصّه بها الاستعمار الفرنسي، فكانت كل المآسي والآلام والاضطهادات التي يعاني منها الجزائريون نتيجة ترف المستوطنين الأوروبيين، وقد ركز " **محمد ديب** " أحداث الرواية حول الفلاحين وما كانوا يعانونه جرّاء انتهاك أراضيهم ومزارعهم وجهدهم من قبل هؤلاء المستوطنين الذين وفدوا من كل حدب وصوب.

ولقد عمد الروائي إلى تحديد صورة الاحتلال الفرنسي وفق تدرج تيمة العنف في الرواية، بداية بالمستوطنين ن ثم السلطة الفرنسية الاستعمارية، حيث كان المستوطنون هم ملاك الأراضي

وأرباب العمل، ولقد أضمن الكاتب " **محمد ديب** " رأيه على ألسنة عدد من الفلاحين والمزارعين، ناهيك بعض النسوة من القرية وكما كان هناك مواقف تخص آراء بعض الموالين للسلطة والعملاء الخواص عندها.

والمميز في الرواية أن معظم الصور تخرج عن إطار الوصف للأماكن والأزمنة لتركز على الشخصيات الفرنسية، باستثناء مكانين محددين هما : **بيوت بعض المستوطنين** و**السجن الفرنسي**، ما عاد ذلك فهي أماكن ومزارع جزائرية ملك للفلاحين[3].

❖ **<u>صورة المحتل الفرنسي في الرواية</u>:**

لقد صوّر " **محمد ديب** " المستعمر الفرنسي عامة والمستوطنون منهم خاصة بأبشع الصور، أحسّ من خلالها بآلام الفلاح ، فكانت نظرته في ذلك تشمل صورة مادية لأجسامهم وهيئاتهم كما تشمل أخلاقهم ومعاملاتهم للجزائريين ، ففي الرواية تتقاسم شخصيات عديدة الحديث فكل طرف يبدي رأيه، وكان للراوي نصيب من بعض السرد للأحداث، حيث يسرد في بداية الرواية قصص الماضي المجيد الذي كانت تحيا فيه أصوات الملوك والفرسان ، لكن بمجيء الاستعمار الفرنسي تغير كل شيء وأصبحت الجنة الخضراء تدنّس بأقدام المستوطنين، فيقوم " **محمد ديب** " بتصوير هؤلاء المستوطنين كيف كانت حالتهم عند مجيئهم الى الجزائر، وكيف تحولوا بلمح البص إلى ملاك أراضي يتربعون على هكتارات كثيرة من الأراضي " **ألوف الهكتارات من الأرض كانت تصير ملكا للمستوطن الواحد من الفرنسيين، هؤلاء المستوطنون جميعا سواء: لقد وصلوا إلى هذه البلاد بأحذية مثقوبة نعالها. إن الناس هناك لا يزالون يذكرون الحالة التي كانوا حين توافدوا إلى هذه البلاد وهاهم الآن يملكون مساحات من الأرض لا تعد ولا تحصى، وسكان بني بوبلان في أثناء ذلك تقطر أجسامهم عرقا ودما من أجل أن يزرعوا قطعة صغيرة من الأرض جيلا بغد جيل** "[4]، تلك هي الحالة المزرية التي وصل بها المستوطنون الفرنسيون للجزائر.

قدّم " **محمد ديب** " من خلال رواية " **الحريق** " أهداف المستوطنين الفرنسيين من القدوم إلى الجزائر، والذي كان بهدف الاستيلاء على الأراضي الزراعية والممتلكات، فهي الجنة التي وعدتهم بها السلطات الفرنسية، والتي كانت بمثابة إغراءات، إذ كانت هذه الفئة من شذاذ الآفاق

والمتشردين، يملؤهم حقد وجشع باطني، فلم يتركوا للجزائريين إلا الفتات، فيصورهم " **محمد ديب** " بنعال مثقوبة وملابس بالية محاطين بجوع وطمع لم تروه القليل من الأراضي، بل تمادوا في طلب المزيد لبسط نفوذهم وتسلطهم على الشعب الجزائري المغلوب على أمره[5].

❖ **<u>الوعي الوطني والثورة على الواقع</u>**:[6]

تصور لنا رواية " **الحريق** " اِنتفاضة فلاحي قرية " **بني بوبلان** " بأعالي تلمسان، كانت بمثابة رواية الواقعية النقدية التي لم تكتف بوصف الواقع المزري للجزائريين بسبب السياسة الاستعمارية بل منحت الصّوت والكلمة لضحايا التّاريخ لينتقدوا وضعهم، وكان ذلك تمهيدًا لنشوب الحريق العظيم الذي سيأتي على الأخضر واليابس، وسنرى تطور الوعي الوطني في الرّواية نفسها، من خلال عيون شخصية " **عمر** "، وأعتقد أنّ عمر يمثّل إحدى أيقونات الشخصية الروائية في الرواية الجزائرية الحديثة، فهو الشخصية الأشهر، لأنّ ديب اِستطاع أن يختزل فيها نظرة جيل إلى الحياة وإلى الواقع في ظلّ الاستعمار، بل أنّ أسئلة عمر سواء تلك التي كان يطرحها في البيت الكبير للعائلة (دار سبيطار) أوفي المدرسة الكولونيالية أوفي الرّيف لما اِكتشف شخصية " **حميد سراج** " هي الأسئلة التي أيقظت في الرواية الجزائرية حسّها النّقدي، لتخلق المسافة الفنية بينها وبين الرّواية الكولونيالية، هذه الأخيرة كان جوهرها هو سلب الأصلاني صوته وقدرته على التّكلم ونقد واقعه.

بدأ كل شيء من مشهد حواري، من أنضج الحوارات الروائية وأذكاها؛ فلقاء المناضل الشّيوعي حميد سراج بفلاحي بني بوبلان، كان بداية اختبار لإمكانية الجزائري على أخذ الكلمة بحرية ومسؤولية، والانصات إلى مختلف الآراء والمواقف. " **هل يستطيع الفلاح أن يبني فكرة عن واقعه؟** " و" **ما حدود معرفته بالعالم الذي يعيش فيه؟** " بسبب الحوار الذي جرى بين هذا المثقف الشيوعي والفلاحين اِنقشعت الكثير من الغيوم التي كانت تحجب عن الفلاحين النّظر إلى ما يحدث حولهم. تساءل أحدهم: " **أيمكن أن يوجد أمثالنا من البشر من يعاني من القهر والاستعباد؟** ". الكثيرون لم يصدقوا لما سمعوا من سراج أنّ في فرنسا في تلك اللحظة (صيف 1939) فلاحون يعانون مثل معاناتهم، ويعملون أجراء عند غيرهم .أما الدّهشة الكبرى فكانت لما

أخبرهم أنّ فرنسا في هذه اللحظة خاضعة لاستعمار دولة أخرى. " **أيُعقل ذلك؟** " و" **هل يمكن أن يكون هذا الرّجل قد فقد صوابه، وقد جاء من المدينة لأجل أن يسخر من أميين أمثالهم؟** " أسئلة كثيرة تفجرت، أمام حقيقة بدت لهم كأنّها المستحيل:" **أيعقل أن تكون فرنسا التي تستعمرنا مستعمَرة؟** "، من هذا المنطلق استطاع " **سراج** " من خلال الصّدمات التي كان يثيرها في نفوس الفلاحين أن يسقط من مخيلتهم صورة فرنسا التي لا تُقهر، بل بدت في الأفق فجأة علامات أمل ما، بأنّ هذا الذي نعتقد أنه لا يُهزم، ليس أكثر من كائن ضعيف لما يكون أمام إرادة أقوى منه.

وفي الأخير نختم حديثنا المتعلق برواية " **الحريق** " بقول الدكتور " **لونيس بن علي** " : " **أنتهى الاجتماع بهمهات الفلاحين الذين لم يصدّقوا تماما ما كان** " **سراج** " **يعرضه أمامهم، لكني أنا لم أبرح مكاني فعدتُ إلى ذلك الحوار، وأكاد أشتم رائحة العشب الذي أحرقته شمس الظهيرة في ذلك المكان الذي شهد أشهر اِجتماع سياسي في تاريخ الرواية الحديثة في الجزائر، وأدركتُ أنّ ديب لم يكتب نصا عاديا، بل أنّ روايته كانت نبوءة للثورة التحريرية، فقد انتهت بحريق مهول، هو حريق الثورة القادمة** "[7]

❖ **وللمزيد من المعلومات يرجى العودة إلى المراجع التالية:**

(1): يوسف الأطرش، " **المنظور الروائي عند محمد ديب** "، مطبعة دار هومة، 2003، ص 158.

(2): محمد ديب،" **الثلاثية (الدار الكبيرة، الحريق، النول)**" ، ترجمة سامي الدروبي، دار الوحدة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، 1985 ،ص98.

(3): **ينظر**: زروقي عالية، " **صورة الفرنسي في رواية الحريق لمحمد ديب** "، مجلة جيل الدراسات الأدبية والفكرية، ع10، 2015، ص 62.

(4): محمد ديب، " **الحريق** "، تر: فارس غصوب، منشورات ANEP، الجزائر، 2007، ص 31.

(5): **ينظر**: رزوقي عالية ، المرجع نفسه، ص 62

(6): بن علي لونيس، " **الحريق الذي أشعل الرواية الجزائرية** "، صفحة " **نفحة** " الإلكترونية، 2015/04/30، https://www.nafhamag.com/2015/04/30/%D8%A7%D9%84%D8%AD%D8%B1%D9%8A%D9%82-%D8%A7%D9%84%D8%B0%D9%8A-%D8%A3%D8%B4%D8%B9%D9%84-%D8%A7%D9%84%D8%B1%D9%88%D8%A7%D9%8A%D8%A9-%D8%A7%D9%84%D8%AC%D8%B2%D8%A7%D8%A6%D8%B1%D9%8A%D8%A9/

(7): لونيس بن علي، المرجع السابق .